إسهامات العلماء الجزائريين بالمهجر من أواخر القرن 19م إلى منتصف القرن 20م"المشرق العربي أنموذجاً"

أ.د. خير الدين شترة
جامعة المسيلة

تتناول هذه الدراسة إسهامات العلماء الجزائريين بالمشرق العربي والأدوار التي قاموا بها داخل المحيط التعليمي والصحفي والسياسي والثقافي والاجتماعي في كل من الجزائر والمشرق العربي، في محاولة لإنصاف الأدباء والمفكرين والسياسيين المنتمين إلى أصول جزائرية ممن أجبروا على الإقامة بالمشرق سواءً إقامة دائمة أو عابرة، ثم أملى عليهم الضمير واجب المشاركة في الحياة العامة فتولّد عن ذلك النشاط تراث زاخر بالإنتاج والعلاقات، وبحكم وضعيتهم هذه فإن الباحثين في الدول المشرقية دأبوا على تغليب البحث في العناصر السورية أو المصرية أو الحجازية... انتماءً ولم يروا في إقامة وإنتاج هؤلاء الجزائريين بالنشأة ما يُبّرر إقحامهم ضمن دراساتهم المتعلقة بالبيئة المحلية،كما لم يظفر هؤلاء المجهولين أيضًا باهتمام الباحثين الجزائريين لأنهم أيضًا لاحظوا ارتباط هذا الإنتاج بالبلد الذي عاشوا فيه وامتزجوا بأهله واعتبروا فكرهم وتراثهم انعكاسًا لأحداث ذلك البلد لذا آثروا الاستغناء عن دراسة تراثهم...فراح إنتاج هؤلاء المفكرين في غياهب النسيان والتجاهل. زيادة على هذا سنحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن عمق الاتجاه العربي الإسلامي لدى الجزائريين الأوائل واستكمال الصورة العاكسة الحقيقية لما جمع بينهم وبين إخوانهم العرب من دماء ونضال إبان هذه الفترة.

Contributions of Algerian scholars abroad at the end of 19th Century and the middle of the 20th Century «The Middle East as an example"

This study focuses on the contributions of the Algerian scholars in the Middle East and the role that they have played within the educational, journalistic, political, cultural and social environment both in Algeria and in the Middle East trying to establish right to literary men, thinkers and politicians of the Algerian origins who were forced to live in the Middle East at permanently or temporarily and whose consciousness dictated them the duty to participate in public life which gave rise to a heritage rich in production and relations. Because of this position, researchers in the Middle East countries looked to focus research in the elements of Syrian origin, Egyptian and hijazite origins and felt that the residence and production of these Algerians of origin did not justify their integration within their local environment-related studies. These unknown persons have also been marginalized by Algerian researchers because they noticed the link of their production with the country where they lived and people to which they are integrated and considered their ideology and heritage a reflection of the events in these countries, so they preferred to exclude the study of their heritage. Thus, the production of these thinkers was doomed to oblivion and neglect. In addition, this study attempts to disclose the depth of Arabo-Muslim tendency in Algerian precursors and complete the image really reflecting what bound them to their Arab brothers in blood and activism during this period.

المقدمة:

إن الحديث عن الرحلة العلمية نحو المشرق تفصيلاً وتحديدًا يفرض على الباحث في الموضوع الفصل بين أمرين هامين، وهما الغرضان الأساسيان للرحلات العلمية نحو المشرق العربي واللذان يمثلان طورًا في البحث عن التحصيل والتفقه في الدين، وطورًا آخر في أداء فريضة الحج فقط، ثم الرجوع إلى أرض الوطن. ومن المحطات المشرقية التي كان علماء الجزائر خلال هذه الفترة يقفون عندها، أو يتوجهون إليها: الإسكندرية والقاهرة والقدس ومكة والمدينة وبغداد والشام ولكل اتجاه من اتجاهات الجزائريين عبر العصور أسباب ومُبررات يصعب حصرها، وإن كان الطابع الذي يغلب عليه هو الطابع الديني–العلمي، وقد يتقدم العامل الديني في العصور الأولى لدخول الإسلام أرض إفريقية العامل العلمي، واستمر الوضع هكذا مدة قرون بل إلى وقت قريب منا، لسبب بسيط هو عدم فصل الجزائريين عامة بين الدين والعلم، ففي نظرهم فإن الأول يُكمل الثاني والعكس صحيح، فالعالم الحق حسب معيار العصر كان عليه أن يكون عالمًا وفقيهًا في دينه قبل أن ينصرف إلى الدراسة والتحصيل في أمور دنياه وما يُحيط به من ظواهر مادية وما يتعلق بها فلسفةً وسياسةً واجتماعًا واقتصادًا وثقافةً، ومن المعلوم أن المشرق العربي منذ دخول الإسلام بلاد إفريقية واتصال العرب بها مباشرة قد جلب أنظار أهل البلاد إليه بمختلف اهتماماتهم ومنازلهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية[1].

لكن لماذا هذه الدراسة حول العلماء الجزائريين بالمشرق العربي؟ إن الأمر لا يعدوا أن يكون محاولة لسد فراغ حقيقي في هذا الجانب لأن الإطار العام لهذه الدراسة يهدف إلى إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات الجزائرية التي قادت حركة التربية والتعليم والإصلاح خارج قائمة الأسماء التي اعتدنا الحديث عنها من دون غمط حق الجميع، مع إعطاء مساحة أكبر لطبيعة الأدوار التي قام بها المهاجرون الجزائريون داخل المحيط التعليمي والصحفي والسياسي والثقافي والاجتماعي في كل من الجزائر والوطن العربي.

[1]– عن هذه العلاقات بين الجزائر والمشرق العربي وخصوصا خلال العهد العثماني راجع: – العيد (مسعود)، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق"،سيرتا، ع1، قسنطينة، 1979م ص.ص(46-54).

1. مفهوم الهجرة ودوافعها عند الجزائريين:

إن المقصود بالهجرة عندما طرحت خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر هو: «الخروج من المنطقة التي تغلب عليها الفرنسيون إلى منطقة أخرى ما تزال تحت الحكم الإسلامي»، كالمناطق الواقعة تحت حكم الأمير عبد القادر[1]، وقد جعل الأمير حماية المسلمين من الأحكام الصارمة في كل معاملاته مع المسلمين ومع الفرنسيين، ففي رسالته المعنونة بـ«حسام الدين لقطع شبه المرتدين» عام 1843م أجاب الأمير إجابة صريحة بوجوب الهجرة من البلد الذي غلب عليه الفرنسيون، ويقصد الهجرة أو الخروج إلى المناطق التي كانت تحت سلطته.

لم تكن الهجرة غاية في حد ذاتها، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها الجزائريون نتيجة الأوضاع السيئة التي أصبحت عليها البلاد وظروف القهر التي سلكها المستعمر الفرنسي في المدن والأرياف والتي أصبحت في ضوئها الحياة والتعايش مع القوات الاستعمارية ضربًا من المستحيل وهو ما حدا بالعديد من الأسر والعائلات إلى الهجرة. إن الهجرة ظاهرة اجتماعية لها ارتباط مباشر بعلم السكان (الديموغرافيا)، وتُعرف في اللغة اللاتينية بـ(MIGRARA)، أي انتقال الإنسان من مكان إقامته إلى بيئة اجتماعية أخرى، ويُعرِف (دافيد سيلي) الهجرة بأنها: «حركة انتقال لأشخاص عبر مسافة طويلة إلى غير موطنهم الذي نشأوا فيه»[2].

كما أن الهجرة كمفهوم هو نوع من الدفاع عن النفس، وتبرر هذه الظاهرة خاصة بعد الحروب وعملية الغزو والاحتلال، وهو المفهوم الذي يخص الهجرة الجزائرية إلى البلاد المشرقية، عكس ما يُعرف عن المفاهيم الأخرى التي تُطلق على المهاجر إلى البلاد الأجنبية طلبًا للعيش والعمل[3]، ومن هنا فالجانب الأمني – غريزة الحياة –كانت السبب الرئيس في هذه الظاهرة، وكانت عوامل الجذب والإغراء المادي والمعنوي عوامل ثانوية فقط؛ وإلا فكيف نفسّر الطابع العام لكل هذه الهجرات إلى المشرق الإسلامي وغيرها والذي كانت ميزته الاستقرار الدائم، فالهجرة التي

[1] – سعد الله(أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م. ص 375.

[2] –David (SILIS), Migration The International, Encylopedia of The Social Sciences, Vol 9, London: macmallan, 1981, P285.

[3] – عطية الله (أحمد)، القاموس السياسي، ط3، القاهرة: النهضة العربية، 1968م، ص 1343.

قام بها الجزائريون باتجاه دول الشرق والغرب؛ كانت نوعاً من المقاومة السلبية، مثلها مثل الهجرة الاضطرارية الأولى التي تزعّمتها القوات الانكشارية وتلاها خروج الداي حسين وأعيان العاصمة والمدن الكبرى كتلمسان وقسنطينة سنة 1830م، فقد كان عنوان هذه الهجرات هو الرفض المطلق لسيادة الرومي على المسلم[1]. ويقول "مارسي": «إن الحياة الاستعمارية الجديدة كانت من الأسباب التي قادت إلى الهجرة الجزائرية، فقد كان ذلك يعني أنه لم يعد في استطاعة الجزائريين أن يتمتعوا بحياتهم القديمة كما كانوا سابقًا»[2]، ذلك أن الإنسان الجزائري ظل متمسكًا بأرضه رغم الظروف الطبيعية والأمنية والسياسية المتغيرة لكن مع امتداد التوسع الفرنسي نحو الداخل وممارسته لأبشع وسائل القمع والحرمان والاضطهاد والقتل الجماعي.

والواقع أن كل الذين كتبوا عن هجرة الجزائريين رغم قلتهم، كانوا قد قدموا إجابات غير كافية وتضاربوا حول دوافعها بصفتها المحرك للهجرة، فمنهم من أعطى الأولوية للسبب الاقتصادي، وقال إنها وليدة الجوع والحاجة، ومنهم من أرجعها إلى الدافع النفسي أو الدافع الديموغرافي، لكن رغم ذلك ومما لا شك فيه أن الكشف عن دوافع الهجرة يساعدنا على تصور الوضعية التي كان عليها الجزائريون. حيث يقول (ج.ج. راجي) «لقد ذهب الوهْم ببعضهم إلى القول بأن تلك الهجرة الجزائرية ما هي إلا مظهر لطبيعة الارتحال البدوي التي تكمن في أعماق سريرة الجزائري وذلك خطأ، لأن الإحصاء دلّ على أن أكبر عدد من المهاجرين الجزائريين هم من أهل الحضر ومعظمهم من إقليم وهران، وأولئك من أصل بربري مستعرب، فليست تلك الهجرة إذن صدى لنزعة بدوية»[3]، ولعل أشيع تعليل للهجرة الجزائرية في الأذهان، هو القول بأنها تحدث تحت ضغط ازدياد عدد السكان، وذلك هو التعليل الرسمي الذي تقول به الإدارة الفرنسية في

[1] – سعد الله(أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م ، ص 62.

[2]– سعد الله (أبو القاسم)،" الاتجاه في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين"، الثقافة، ع31، الجزائر: فيفري/مارس 1976م ، ص 128.

[3]– Rager (J.J), Les Musulmans Algériens en France et dans Les pays Islamiques, Paris: Les belles Lettres, 1950, P51.

الجزائر، وليس بخافٍ علينا مثل هذا السبب، ولكنا لا نراه كافيًا لتعليل الهجرة ولذلك لا نرى تقسيم أسباب الهجرة في دراستنا هذه إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وأخرى ثقافية وسياسية.

وعندما يتعرض"شارل أندرى جوليان" لظاهرة الهجرة بالتحليل يقول: «إن هجرة الجزائريين المسلمين التي بدأت منذ عام 1830م، كانت تعتمد على أسس دينية !! »[1]، وبصفة خاصة منذ السنوات الأولى للاحتلال، فيستطرد ويقول: «أنه بعد سقوط بسكرة وتلمسان تدفّق أعيانها على تونس ومراكش... وكان دافع الخروج هو أسلوب الاحتلال الفرنسي الذي أحكم قبضته على جميع أجزاء البلاد بالإضافة إلى امتداد النظام المدني إلى مناطق كثيرة، ولذلك وجد هؤلاء الحرية خارج وطنهم ووجدوا فرص العمل الواسعة، مع عدم رغبتهم في معايشة الأوربيين»[2].

وفي أواخر القرن (18م)، أي بالضبط منذ سنة 1898م كانت حالة الهجرة تدل على تذمر وسخط الجزائريين، ومع ذلك حاول الفرنسيون إعطائها طابعًا آخر، وهو أنها من تأثيرات الجامعة الإسلامية والطريقة الرحمانية، فقد عبَّر"كامبون" قبل ذلك بأن تصوير الحياة في الشام أو في المشرق عموماً على أنها رغدة هو الذي جعل المهاجرين يعمدون إلى التوجه هناك، وأن العاطفة الدينية كانت تشجع على الهجرة حيث روي أن إحدى المراسلات جاء فيها: « تعالوا واقضوا بقية حياتكم في بلاد غنية بالخيرات والصلوات والاحترام، وقد وعد الله المهاجرين مكانًا أفضل في الآخرة»، وأضاف "كامبون" أن بعض الذين هاجروا من قبل من زواوة رجعوا إلى دواويرهم الأصلية ليناشدوا إخوانهم في الدين الالتحاق بهم في تلك الأراضي المباركة، وقال أن الطريقة الرحمانية تشارك في هذه الحملة الدعائية[3] ويبدو أن "كامبون" قد تناسى البؤس الذي كان يعانيه الجزائريون والاحتقار وتعسف قانون الأهالي.

[1]- Ageron (Ch.R), "L'émigration des Musulmans Algériens et L'exode de Tlemcen (1830-1911)"Annales Economiques Sociales, Vol 22, France: 1967, P 1038.

[2] - Ibid, 1049.

[3]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. ص (477-478).

2. الرحلة العلمية الجزائرية باتجاه المشرق العربي:

لقد كانت بغداد مقر الخلافة الإسلامية بالنسبة لعلماء الجزائر خلال المرحلة الأولى من حركتهم نحو هذا الجزء من الوطن العربي، المحطة الأولى التي بواسطتها اتصلوا فيما بعد بالأقطار المشرقية الأخرى وفي مقدمتها مصر ثم القدس ثم الحجاز، وإن كانت مصر محطة سفر لا بد من المرور بها بالنسبة للجزائريين وخلال القرنين (09-11م) ثبت لنا إحصائيًا أن 40% من العلماء الجزائريين قد توجهوا نحو العراق لأغراض مختلفة فمنهم من قصدها طلبًا للعلم، ومنهم من أراد اختبار معارفه وتأكيداته هناك، ومنهم المرتحل والسائح وذلك شأن بكر بن حماد التاهرتي وسعيد الوهراني وعلي القلعي، وكلهم عاشوا فيما بين القرنين (9-11)م[1].

والمميّز في حركة العلماء الجزائريين نحو المشرق العربي هو أن فترة تكاثف وجودهم هناك كانت فيما بين القرنين(12-15)م، بحيث نجد عددًا هامًا من المثقفين الجزائريين هناك، وقد مرت هذه الهجرات العلمية بعدة مراحل، لكن ما يهمنا فيها هي المراحل المتأخرة التي لها علاقة بموضوعنا بدءًا بالقرن (19م) وهو قرن يُشكل حدًا فاصلاً بين مرحلتين: مرحلة التقهقر العلمي والثقافي، ومرحلة إدراك الذات أي الصحوة التي يمكن تحديد بدايتها بشكل أدق بالربع الأخير من القرن (18م)، بحيث برزت في البلاد مؤشرات جديدة ثقافية وعلمية ودينية واجتماعية تمثّلت في بروز عناصر تثقفت أولاً وتشبعت بالثقافة العربية الإسلامية، ثم اهتمت ثانيةً بتعلم لغة المستعمر والاطلاع على حضارته؛ الشيء الذي مكّنها من إدراك وبوعي ما كان يتخبط فيه الشعب الجزائري من جهل وفقر ومرض مدقع، مما جعل هذه الفئة من الجزائريين المثقفين تهتم بقضايا الإصلاح بمفهومه الواسع الديني والاجتماعي والأخلاقي والتربوي وطبيعي أن لا تبرز أسماء هؤلاء في دراستنا هذه لأن جلهم مثل: عبد القادر المجاوي ابن الموهوب، ين سماية[2] وغيرهم، إما أنهم لم

[1]- هلال (عمار)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، الجزائر: د، م، ج، 1995م.، ص 209.

[2]- بن سماية (عبد الحليم) « 1866-1933م»، راجع ترجمته في : - نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1983م، ص. ص(178-179).- دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، الجزائر: المطبعة العربية 1971م ، ص. ص(106-125).

يرحلوا إلى المشرق العربي وإذا رحلوا فقد رحلوا باتجاه آخر غير المشرق وبالتالي غابت أسماؤهم من قائمتنا التي تخص العلماء الذين لهم علاقة مباشرة بالمشرق فقط.

ومن أبرز مميزات هذا العصر هو إنشاء فكرة الإصلاح بين العلماء الجزائريين وخاصة منهم أولئك الذين تعلموا في المشرق حيث تأثروا بالإصلاح بمفهومه الواسع وبرجاله هناك فنقلوا الفكرة إلى الجزائر فزرع بذرتها ثلّة من العلماء منذ مطلع القرن التاسع عشر (19م) ونبتت في مطلع القرن العشرين وتطورت خلال عشريناته وأعطت ثمارها في ثلاثيناته وعلماء هذا العهد ينقسمون إلى قسمين:

- قسم ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية القديمة، والذي اقتنى ثقافة أساسها العلوم الدينية واللغوية كالحديث والنحو والتفسير.
- وقسم ينتمي إلى المدرسة العصرية التي تمزج العلوم الأصلية مع العلوم الحديثة وفق منهج علمي معاصر[1]. وأشهر من هاجر إلى المشرق خلال هذه الفترة : [أنبار محمد بن عيسى (ت ق 19م)، الحاج الدوادي (ت 1854)م، الأغريسي أحمد (1889-1936)م. الخالدي محمد (1813-1866)م، الجزائري أرويلة (ت 1955)م، الدراجي عبد الله (ت 1876)م، الجزائري صالح السمعوني(1868-1924)م، عبد القادر الأمير (1807-1883)م، أطفيش إبراهيم بن عيسى(ت 1893)م. المقايسي حمودة (ت 1829)م، الأمين بن علي (ت1821)م، الجزائري محمد سعيد (ت1861)م.، الغابني ابن حسين (1775-1850)م، بن الحفاف (ت 1890)م، المياسي علي (ت 1833)م، الخروبي القلعي (ت 1863)م، ابن عدون يوسف (1745-1808)م، لكبابطي مصطفى (ت 1860)م، البراثني المهدي السقلاوي (1786-1861)، الجزائري محي الدين بن مصطفى(1776-1834)م، المازوني الصادق (ت 1838)م، الجزائري محمد المبارك الحسين الدلسي(1808-1852)م...] ، وعلى الرغم من أن العصر عصر انحطاط علمي وحضاري فإن ذلك لا يمنعنا من ملاحظة بعض

[1]- يراجع، سعد الله (أبو القاسم)، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص. ص(130-147).

الأسماء المتميّزة مثل: صالح السمعوني ومصطفى الكبابطي وحمودة المقايسي[1]، وقد يأتي في مقدمة هؤلاء المهاجرين "ابن عدون يوسف"، وكان من أوائل من اعتنق الإصلاح في وقته، ولد ونشأ في بني يسجن وخلف الشيخ عبد العزيز الثميني في إمامة مسجد بني يسجن، شدّ رحاله إلى المشرق واستقر بالقاهرة بعد أداء فريضة الحج مدة أربع سنين حيث لقي أكابر علمائها، قال عنه الشيخ أبو اليقظان: «رأيت له مؤلفات مخطوطة هي غاية في النفاسة وحسن النسيج والترتيب منها كتاب في سيرة النبي ﷺ وأرجوزة في بضعة آلاف في الشريعة وأسرارها»، أقام في مصر أربع سنين يَحضر دروس كبار علماء الأزهر، وفي طريق عودته إلى الجزائر عرّج على تونس وبقي فيها مدة حيث شارك في حياتها الفكرية ونهضتها العلمية[2]، ومنهم أيضا "المقايسي" المتوفي سنة 1829م الذي ولد ونشأ بمدينة الجزائر ثم رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة، حيث أكمل تعليمه بالأزهر على يد كبار علمائها[3]. ومن علماء هذا العصر في مصر، "علي بن محمد الميلي الجمالي" المتوفي سنة 1833م ولد في ميلة حيث تعلّم ثم رحل إلى مصر واستقر بها، وتوفي بالقاهرة، له أكثر من اثني عشر مؤلفاً في الفقه وعلْم الكلام[4]، ومن الذين هاجروا إلى مصر في النصف الأول من القرن 19م "محمود بن العنابي" (1775- 1850)م، وهو فقيه حنفي وقاض من أوائل المصلحين لهذا العصر، أصله من عنابة ولد وتعلم بمدينة الجزائر وأبوه "الحسين ابن العنابي" المتوفي سنة 1737م، وكان هو أيضًا فقيهًا ومُفسرًا معتبراً ، ولّي الإفتاء في مدينة الجزائر أربع مرات، وتوفي بها شأنه شأن ابنه محمود الذي تولى قضاء الحنفية لمدينة الجزائر عدة مرات وكتب للداي "أحمد باشا" الذي تولى الحكم سنة 1805م، وفي بداية العشرينيات من القرن الماضي شدّ ابن العنابي رحاله إلى المشرق واستقر لمدة في الإسكندرية حيث ألّف كتابه (السعي المحمود) عام 1927م، ومنها انتقل إلى الحجاز فأدى فريضة الحج ثم عاد إلى الجزائر عبر تونس بحوالي سنة قبل احتلالها من قبل

[1]- هلال، المرجع السابق، ص 316.
[2]- دبوز، نهضة، ج1، ص282.
[3]- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، تح. خير الدين شترة، الجزائر: دار كردادة، 2011، ص140.
[4]- الزركلي (خير الدين)، الأعلام (قاموس التراجم)، ج7، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م ص77.

الفرنسيين سنة 1830م[1]، وعندما سقطت العاصمة قرر "كلوزيل" طرده منها حيث توجه صوب الإسكندرية وهناك تولى في عهد (محمد علي) الإفتاء الحنفي حتى سنة (1850)م، حيث عزله (عباس باشا)[2]، وهكذا لاذ بن العنابي بالصمت إلى أن لقي ربه بعد ذلك بنحو سنة تاركًا وراءه في مصر ذكرًا طيبًا وجهدًا كبيرًا.

وفي إطار الاستنزاف البشري الذي استهدفت من خلاله فرنسا إفراغ الجزائر من رجالها المؤثرين في الساحة الاجتماعية والسياسية والثقافية، أُبعد إلى المشرق قدور بن محمد رويلة (ت 1855)م[3] والخالدي محمد بن عبد الله (1813-1866)م، كما أبعد إلى مصر بن الكبابطي (ت 1860م)[4]، ومن أصحاب السيف والتعلم في دمشق محمد بن الخروبي القلعي (ت 1862م) ومحمد السعيد بن محي الدين الحسني الجزائري (ت 1861م)، وصالح بن أحمد السمعوني (1824-1868)م ومنهم مصطفى التهامي المعروف بالمغربي (ت 1867م) الذي تولى إمامة المالكية بجامع بني أمية بدمشق وقد تخرّج على يده كثير من علماء دمشق، منهم الشيخ "عبد السلام الشطي" الشهير في زمانه[5].

---

[1]- راجع عنه: سعد الله (أبو القاسم)، المفتي الجزائري بن العنابي رائد التجديد الإسلامي، الجزائر:ش.و.ن.ت،1977م، ص 19. الزهار(أحمد الشريف)،مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح، توفيق المدني، الجزائر: ش.و.ن.ت،1975م، ص127. حمدان بن خوجة (بن عثمان)، مذكرات، تق: ابن عبد الكريم محمد، بيروت: 1972م، ص. ص (221-224). بن قينة (عمر)، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج، 1993م ، ص. ص(19-22).

[2]- نفسه، ص 21. راجع: - حمدان بن خوجة، المصدر السابق ، ص 161.

[3]- راجع عنه: تشرشل(هنري)، حياة الأمير عبد القادر، ط2، تح: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.

[4]- للتوسع في الهجرات العلمية الجزائرية إلى جامع الأزهر راجع: الشوكي (عبد الرحمان السيد)، مصر والحركة الوطنية في الجزائر منذ (ح ع 1) حتى الاستقلال، ماجستير في التاريخ الحديث جامعة القاهرة، قسم التاريخ، مصر: 1991م ص.ص(86-88)-(150-155). وعن مكانة الأزهر داخل المجتمع الجزائري ص. ص(150-153)، وعن البعثات العلمية ص. ص(153-155).

[5]- هلال، العلماء، ص 322.

ومن العلماء الجزائريين المناهضين للاستعمار الفرنسي والذين دخلوا الحجاز ثم عادوا إلى الجزائر العالم "علي بن الحفاف" (ت 1890م)[1]، وهو صاحب الفتوى الشهيرة التي حكم فيها بالكفر على علماء مدينة الجزائر الذين لم يهاجروا بعد الاحتلال الفرنسي لها أو لم يلتحقوا بالجبال، ومن علماء هذا العصر في عُمان، "إبراهيم بن يوسف بن عيسى أطفيش" (ت1893م)، وهو عالم إباضي له اهتمامات بالغة بعلم الكيمياء، وكان قد أكمل تعليمه بالأزهر، وبعُمان كرّس حياته للتدريس فانتفعت بعلمه أجيال كثيرة ومن طلبة العلم الميزابيين[2] أيضًا هناك من منطقة بني ميزاب "محمد بن عيسى أزبار" الذي رحل إلى المشرق واستقر بعُمان مدة كبيرة، وبعد عودته إلى وادي ميزاب فاز بمشيخة علماء وادي ميزاب حيث توفي[3]، وفي نفس السياق هاجر إلى المشرق العربي أيضًا "محي الدين بن مصطفى الحسني" (1776-1834)م وهو ابن الأمير عبد القادر حيث تعلّم بمصر والحجاز والعراق، وكذا "المازوني الصادق" (ت 1838م) و"المهدي السقلاوي" الصوفي الرحماني، و"أحمد الأغريسي" الذي تولى خطة القضاء في عدة مدن بالمشرق.

أما في مرحلة القرن العشرين فقد برز في الجزائر بحكم الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المستجدة عناصر مثقفة عصرية منها الصحفي والسياسي والمصلح الاجتماعي والديني، وهي عناصر لا نكاد نجد لها أثرًا في العصور السابقة، وهذه الفئة من المتنوّرين الجزائريين خلال هذا العصر تثقفت في أغلبها في المشرق، ولكن بنسب متفاوتة كميًا، فسوريا قد استضافت مثلاً من هؤلاء نسبة 45,71 %، ومصر 25,71 % أما الحجاز فقد حظي بنسبة 17,14 % من مجموع العلماء الجزائريين المهاجرين خلال هذه الفترة[4].

---

[1]- للتوسع أكثر يراجع: الحفناوي، المصدر السابق ، ج1، 260.

[2]- دبوز، نهضة، ج2، ص 284.

[3]- نفسه، ج1، ص 283.

[4]- هلال، العلماء، ص 328. للتوسع يراجع: خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، الجزائر: دار البصائر، 2008م.

وإذا كان دور كل من مصر وسوريا معروفين في احتضانهما للطبقة المثقفة الجزائرية عبر العصور فإن دور الحجاز غير معروف، وطبيعي أن تضم قائمة المهاجرين من طلبة العلم إلى المشرق شخصيات كان لها أثر كبير في الحياة الجزائرية من كل النواحي الأدبية والفكرية مثل مالك بن نبي، رضا حوحو، البشير الإبراهيمي، حمدان الونيسي، الفضيل الورتيلاني، الطيب العقبي، العربي التبسي وغيرهم وإذا رتبّناهم حسب تاريخ وفاتهم، ففي سوريا يأتي في مقدمتهم "محمد مرتضى الحسن الجزائري"(1827-1901)م، ولد وتعلم بالقيطنة هاجر إلى بلاد الشام وسكن بيروت حيث نشر العلم والمعرفة، وتخرّج على يده كثير من علماء الشام منهم "محمد الحصني" صاحب منتخبات التواريخ وغيره.[1].

ومن بيت الأمير عبد القادر في دمشق أيضًا "أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسيني" (1833-1902)م[2]، وهو عالم فاضل شقيق الأمير عبد القادر رحل إلى دمشق، وأخذ عن كبار علمائها وعن شقيقه "محمد سعيد" وابن أخيه مرتضى، ثم أقرأ في داره فنونًا متنوعة وكذلك يقول عنه أحدهم:«كان عالمِا زاهدًا حسن السيرة والسريرة، محبوبًا عند الخاص والعام، ألوفًا متواضعًا في أخريات أيامه جنح إلى التصوف... ومات بدمشق»[3].

ومن رجال الصحافة والسياسة في مصر "محمد الشريف بك الجزائري" الذي كان حيًا سنة 1904م، وهو أديب وكاتب وصحفي من رجال السياسة البارزين في أواخر القرن (19م) عاش في مصر ومُنح لقب البكوية تقديرًا لجهوده وجهاده في خدمة الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، أصدر في القاهرة صحيفة "البوستة" سنة(1896م)، وبسبب نشاطه السياسي نُفي من مصر إلى فرنسا سنة(1903م)، واستمر يُراسل صحيفته من منفاه حتى توقفت عن الصدور سنة 1904م[4]، ومن أوائل المصلحين الجزائريين الذين تعلموا في مصر "صالح بن مهنا" (1854-

[1]- التوسع يراجع- دي طرازي (فيليب)، تاريخ الصحافة العربية، ج2، بيروت: المطبعة الأدبية 1913م، ص119.

[2]- الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 229 .

[3]- هلال، العلماء، ص332.

[4] - دي طرازي، المصدر السابق، ج2، ص 178.

1910م) وهو عالم سلفي مصلح ولد في نواحي القل، ونشأ بقسنطينة وتعلم بها وبتونس، رحل إلى المشرق طلبًا للعلم فدخل القاهرة، وأخذ عن أكابر علمائها وجلس إلى التدريس بقسنطينة وبقي هكذا إلى أن مات بها[1]، ومن طلبة العلم الجزائريين بدمشق في مطلع القرن العشرين"المبارك محمد بن محمد الجزائري" (1847-1912م)، أديب وشاعر صوفي، أصله من دلس، هاجر والده إلى دمشق بعد احتلال الفرنسيين للجزائر، ولد في بيروت ونشأ وتعلم في دمشق ومات بها[2].

ومن طلبة وادي ميزاب الذين دخلوا الحجاز، "أطفيش محمد بن يوسف" (1820-1914م) عالم بالفقه والتفسير والأدب، ولد في بني يسجن وبها نشأ، خرج إلى الحج مرتين وفي كلتيهما اغتنم الفرصة للاستزادة والاطلاع، جلس للتدريس والتأليف والوعظ إلى أن مات في مسقط رأسه، له أكثر من خمسين مؤلفًا في عدة فنون بعضها طبع، والبعض الآخر لا يزال مخطوطًا[3]، ومن العلماء الجزائريين الذين تبنوا العمل السياسي والصحفي في دمشق "محمد التهامي شطة" (ت 1915م)، وهو كاتب وصحفي من دعاة الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في مدينة الأغواط، ولما احتلها الفرنسيون سنة 1852م انتقل إلى تونس وعندما احتل الفرنسيون تونس سنة 1881م غادرها إلى سوريا، أنشأ جريدة "المهاجر" بدمشق في 11 جانفي 1912م، ثم جريدة "الاتحاد الإسلامي" في 23 جانفي 1915م، انتقل بعدها إلى تركيا، حيث واصل نضاله السياسي دفاعًا عن القضية الإسلامية، مات بتركيا، وقد خلّف ولدين هاجرا فيما بعد إلى تونس واستقرا بها[4]، ويذكر أبو القاسم سعد الله بحسب ما ذهب إليه سهيل الخالدي: إلى أن عائلة شطة قد تكون انقرضت من دمشق وأن ثلاثة منها استشهدوا في صفوف الثورة السورية، وقال

[1] – نويهض، المرجع السابق ، ص323.

[2] – الفاسي (عبد الحفيظ)، رياض الجنة، ج1، الرباط:1350 هـ، ص72.

[3] – دبوز، نهضة، ج1، ص.289

[4]- نويهض، المرجع السابق ، ص. ص(85-86). راجع أيضا: – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص.ص (604 – 605)، هـ2.

- BARDIN (Pierre): Algériens et tunisiens dans l'empire Otman de (1848à 1914), Paris: Ed: C.N.R.S,1979,PP(170-171).

عن جريدته "المهاجر" أنها كانت يومية سياسية أدبية-علمية-تجارية- فكاهية، تخدم الدولة العثمانية والإسلام[1].

ومن علماء الجزائر في دمشق شهيد القضية العربية"سليم بك بن محمد سعيد الحسيني الجزائري" (1879-1916م)، قائد عسكري وشاعر وعارف باللغات، قتله الأتراك شنقًا لمجاهرته بكلمة الحق وطلب مساواة العرب بالترك، وهو ينحدر من عائلة الأمير عبد القادر، وُلد ونشأ وتلقى تعليمه في دمشق، ثم التحق بالمدرسة الحربية في استانبول وفيها تدَرج في السلك العسكري إلى أن بلغ رتبة عقيد ثم قائد أركان ثم تولى قيادة اللواء السابع خلال الحرب العالمية الأولى،كان له ولوع بالرياضيات فألَّف كتاباً في المنطق (ميزان الحق)، كما اخترع (بركارًا) صغيرًا، وكان يجيد عدة لغات، وقد شغل منصب أستاذ بالمدرسة الحربية باستانبول، خاض حروبًا كثيرة، أُسر في اليمن، ونجا من الموت بأعجوبة، وكان من مؤسسي جمعية "فتيان العرب"، و"الجمعية القحطانية"، و"جمعية العهد"، حيث أولى اهتمامًا بالغًا للقضية العربية، ونظرًا لهذه الحركية المعارضة لمنهج التتريك، قُبض عليه فحكم عليه بالإعدام شنقًا ببيروت وهو لم يبلغ بعد الأربعين من عمره[2].

ومن نفس العائلة في دمشق أيضًا "عبد الباقي بن محمد السعيد بن محي الدين الجزائري" (1850-1916م)،"محي الدين (باشا)" ابن الأمير عبد القادر(1843-1918م)، "أحمد بن محي الدين" (1833-1902)، "السعيد بن محي الدين(1851-1916)، "عز الدين بن محي الدين" (1898-1927)م،"محمد مرتضى الحسين" (1827-1901م)،"الأمير عبد المالك" (ت1924م).

وأشهر علماء الجزائر في دمشق على الإطلاق الشيخ "الطاهر الجزائري"(1852-1920م) كان من وجوه الإصلاح الديني واللغوي في سوريا وواضع الأسس الحديثة البيداغوجية والعلمية للمدرسة السورية، وكان متقنًا للكثير من اللغات الشرقية، وهو أصلاً من زواوة

[1]- عمار هلال، العلماء، ص334.

[2] - زكي(مجاهد)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ج2، مصر: ب.ت ص.ص(19-25).

(أوغليس)، هاجر منها والده حوالي سنة 1847م، واستقر في دمشق وبها ولد الطاهر ونشأ وتعلم، عيّنه "مدحت باشا" مفتشًا للتعليم وأنشأ (المكتبة الظاهرية) بدمشق و(المكتبة الخالدية) بالقدس، وفرارًا من اضطهاد الأتراك بسبب مواقفه القومية حلّ بالقاهرة وأقام بها 18 سنة ولم يرجع إلى دمشق إلا بعد انتهاء الحكم العثماني لها[1].

ومنهم أيضا بالحجاز "أحميدة بن الطيب بن علال الجزائري" (1871-1943م) وهو باحث تاريخي وعالم بالحديث والفقه المالكي، يبدو أنه من الجنوب الجزائري حيث تعلم في زاوية الهامل (بالقرب من بوسعادة) وبسبب اضطهاد الاستعمار الفرنسي له رحل إلى الشام ثم استقرّ نهائيا بالمدينة المنوّرة حيث مات[2].

ومن المهاجرين في طلب العلم إلى مصر، "المولود بن محمد عمر الزريبي" (1897-1925م) كان من رواد الإصلاح في الأوراس، ولد في زريبة الواد (بسكرة)، حيث تعلّم ثم رحل إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر حيث أكمل تعليمه، عاد إلى مسقط رأسه وبدأ حركته الإصلاحية، انتقل بعدها إلى العاصمة وتولى تحرير جريدة (الصديق الإصلاحية) سنة 1920م، وفي نفس الوقت تولى التدريس بالجامع الأعظم، مات في "بوفاريك"[3] بعد داء عضال، ومن طلبة العلم الميزابيين في المشرق "صالح بن عمر داود" (1881-1928م) وهو من كبار علماء الإباضية في المغرب الكبير، ولد في بني يسجن، حيث نشأ وتعلّم، فقد بصره في الخامسة من عمره حجّ مرتين، فحضر بعض دروس الأزهر وناقش علمائها ثم زار الحجاز، بعدها عاد إلى مسقط رأسه حيث أنشأ معهدًا للعلوم الشرعية والعربية وتوفي ببني يسجن[4]، وفي نفس الفترة نجد في دمشق"عبد القادر المبارك " (1887-1945م) أديب حاذق ولغوي[5]، ومنهم أيضًا في الحجاز

[1] – الزركلي، المرجع السابق، ج 3، ص320.
[2] – نويهض، المرجع السابق ، ص 294.
[3] –ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م،ص228،–الهادي السنوسي، المصدر السابق، ج2، ص(99-124).
[4] – هلال، العلماء، ص340.
[5] – للتوسع في ترجمته، يراجع: دبوز، نهضة، ج2، ص144.

ومصر"علي الحمامي" (1902-1949م) ، وفي دمشق أيضاً نجد الزواوي محمد السعيد أبو يعلى (1878-1952م)[1].

ومن طلبة هذا العهد في الحجاز، "أحمد رضا حوحو" (1895-1956م) كاتب وأديب مجدد ولد في سيدي عقبة (بسكرة) هاجرت عائلته إلى المشرق واستقر بالمدينة المنورة، حيث أكمل تعليمه واشتغل بعدها كمدرس بمدرسة العلوم الشرعية وسكرتير لمجلة "المنهل" إبان نشأتها، وفي سنة 1941 عُيّن مترجمًا بمديرية البرق والبريد العامة، عاد إلى الجزائر سنة 1946م فعيّن أستاذًا بمعهد بن باديس وأصدر جريدة "الشعلة"، وقام برحلات إلى الدول الاشتراكية، في أثناء الثورة التحريرية بالجزائر، قتله الفرنسيون في محنة رهيبة[2]، وفي نفس السياق (العمل الإصلاحي بالجزائر) تأتي شخصية الشيخ"العربي التبسي" (1895-1957م)، وهناك أيضًا في الحجاز "الطيب العقبي" (1890-1960م) كاتب وخطيب وصحفي، ومن مفكري هذا العصر الذين احتضنتهم القاهرة الكاتب والمفكر الإسلامي "مالك بن نبي" (1905-1973م) ولد في تبسة ونشأ وتعلّم بقسنطينة، ومنها انتقل إلى باريس التي واصل بها تعليمه العالي وتخرّج منها مهندسًا ميكانيكيًا من معهد الهندسة العالي، رحل إلى المشرق ودخل مكة، وبعض الأقطار الإسلامية الأخرى واستقر أخيرًا في القاهرة حيث أصدر معظم مؤلفاته باللغة الفرنسية وبعضها تُرجم إلى العربية، ساهم في تقديم العون للحركات الطلابية المغاربية، وبعد الاستقلال تولى إدارة التعليم العالي سنة 1964م، وكان عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، توفي بالجزائر العاصمة[3].

---

[1] - للتوسع راجع:-خدوسي (رابح)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزائر:دار الحضارة، 2003م، ص48. نويهض، المرجع السابق، ص164. – البصائر، ع195-1948 م،- المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)،ج2 الجزائر: ش. و. ن. ت، 1976م، ص 130

[2] - للتوسع، يراجع:- نويهض، المرجع السابق ،ص129.– سعد الله، دراسات في الأدب ص. ص(89-100).- مرتاض (عبد المالك)، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الجزائر: ش.و.ن.ت 1983م، ص. ص (155-185).- دوغان(أحمد)، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر، م.و.ص.ك، 1989م ص.ص(35-40). - وللتوسع في مسيرته بالحجاز يراجع: الخرفي (صالح) - شهيد الثورة الجزائرية احمد رضا حوحو في الحجاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1992 م.

[3] - للتوسع يراجع: نويهض، المرجع السابق، ص282.- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965م.، ص.ص(64-67) - بن قينة، المرجع السابق ص.ص(259-

ومن المهاجرين الجزائريين خلال هذا العصر "حمدان الونيسي" (ت1912م) بالحجاز و"عبد القادر الخطابي" (ت1916م) بمصر، و"محمد بن يلس" (1852-1927م) بدمشق و"ابن عليوة" (1874-1934م) الطرقي، "والفضيل الورتيلاني" (1900-1959م)، والتلمساني "أحمد بن محمد" (ت1959م) بدمشق، و"السعدي الصديق" (1907-1970م) بمصر، و"الأمير محمد سعيد" (1881-1970م) وهو أديب مهتم بعدة علوم، مات في دمشق.

3. النشاط المهجري للنخب العلمية الجزائرية خلال الفترة (1900– 1919):

لقد كانت المرحلة الممتدة من مطلع القرن العشرين إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى، مرحلة هامة تكاد تأثيراتها تكون مشتركة بين أقطار المغرب العربي، وإذا كانت ليبيا قد دخلت في حرب شعبية مع الإيطاليين، فإن الأقطار الثلاثة الأخرى (الجزائر-تونس-المغرب)، قد عاشت تجربة متشابهة؛ فالدولة المستعمرة واحدة (عدا إسبانيا في شمال المغرب)، وقد فرض الفرنسيون التجنيد الإجباري على شباب هذه الأقطار لكي يخدموا في جيشها ضد الدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا، ومن خلال قانون التجنيد الإجباري الذي سنّته فرنسا عام 1912م من أجل استغلال الشباب الجزائري في أية مواجهة عسكرية ضدها نجد أنها قد عاملت طبقة الطلبة الجزائريين معاملة خاصة ؟! «أما الطلبة الجزائريون فقد عوملوا معاملة خاصة وتركوا لإكمال دراستهم، مثلهم في ذلك مثل الطلبة الفرنسيين، إلا أنه لم تتوفر المساواة بينهما»[1]، وكان الاضطهاد والهروب من الخدمة العسكرية والغيرة الوطنية قد ساعدا على خروج عدد من قادة هذه الأقطار إلى المشرق وإلى أوروبا وتأليف لجان وجمعيات لتحرير بلدانهم، وكان ذلك مدعاة للتنسيق فيما بينهم والبحث عن الأنصار في الدول الأخرى ومخاطبة الرأي العام العربي والإسلامي بخطاب الاستغاثة والتعاون.

ويمكن القول أن الحرب العالمية الأولى كانت مدرسة تعلّم فيها شباب المغرب العربي الوطنية وقيادة الأحزاب والاعتماد على الإعلام والبحث عن الأصدقاء، لذلك كانت المرحلة التالية لها (1919-1939م) تمثل مرحلة النضج لدى الحركات الوطنية والإصلاحية في المنطقة،

274).- الجابري (محمد الصالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1990 م ص. ص(138-140).

[1]- Sicard(j),Le Monde musulman dans les possessions françaises, Paris,1928 P224.

لقد اختار الوطنيون الجزائريون والتونسيون الأستانة مقرًا لهم، حيث ستكون سياستهم أثناء الحرب العالمية الأولى، هي سياسة الجامعة الإسلامية في أغلبها وفي توافق مع الدولة العثمانية في كل شمال إفريقيا حيث اتصلوا في الأستانة بالأمير شكيب أرسلان، وسليمان الباروني، وعبد العزيز جاويش (التونسي الأصل) ومحمد فريد وألّفوا هيئة لتحرير شمال إفريقيا، تعاونت مع السنوسيين في برقة، واتصلت بعدد من الطوارق في الجنوب الليبي والجزائري[1]، ووصلت دعايتهم إلى قلب الصحراء الكبرى، وكانت هذه اللجنة وراء إمداد السيد أحمد الشريف السنوسي، ببعض ما يحتاج إليه كما كانت وراء إرسال الباروني إلى طرابلس، الذي عمل هناك على إثارة حركة تحريرية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر، وحاولت اللجنة أيضًا تجميع قوات من أبناء المغرب الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال إفريقيا والمشاركة في عمليات التحرير[2]، ومنذ حوالي 1910م أسّس الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي(1853- 1918)م (جمعية الأخوّة الجزائرية التونسية) في إسطنبول وكان لها فرع في دمشق ينشط بين المهاجرين الذين كان أغلبهم من الجزائر، ولها فروع في بلاد الشام والحجاز، ولاسيما فرع المدينة المنورة.

وخلال نفس الفترة شارك العلماء الجزائريون في مصر داخل تنظيم يسمى(الاتحاد المغاربي) وكان صاحب الفكرة فيها هو الشيخ على يوسف صاحب (جريدة المؤيد) التي كانت تتبع سياسة الجامعة الإسلامية ومقر هذا التنظيم كان في الإسكندرية، وكان يرأسه محمد شرعي باشا[3] –الذي ربما يكون من أصول مهاجرة– وقد أرسل الإتحاد موفَدين إلى المغرب العربي وخاصة إلى المنطقة الوهرانية بالجزائر للاتصال بصف ضباط جزائريين كانوا يؤيدون الجامعة الإسلامية[4].

[1] –جلال (يحي)، المغرب العربي(العصور الحديثة)، ج4، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م ص، 211.

[2]– المرجع نفسه، ج4، ص. ص(242 243). – للتوسع يراجع: – محفوظ (محمد)، المرجع السابق ، ج3، ص.ص(233– 235).

– عليان الجالودي، الشيخ إسماعيل الصفايحي "دراسة في مواقفه وآثاره (1853.1918)م "، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد10، الجزائر: سبتمبر2001 م، ص 98 وما يليها. يراجع: – خير الدين شترة، إسهامات النخبة، ص125 وما يليها.

[3] – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص602.

[4]- Bardine (p), Algériens et tunisiens dans l’empire ottoman de(1848 à 1914). Paris : ED.du C.N.R.S, 1979, P.P(230-231).

وقد ساعدت هجرة العلماء الجزائريين إلى المشرق أمثال الخضر حسين والمكي بن عزوز، وصالح الشريف[1] ، على بلورة السياسة الإسلامية نحو شمال إفريقيا[2]، فالشيخ المكي بن عزوز (1854-1915)م سنة 1905م، انتقل من إسطنبول إلى الحجاز وأسس بالمدينة المنورة "جمعية الشرفاء"سنة1913م، وهي جمعية إسلامية كان من أهدافها إثارة مناطق في إفريقيا الشمالية، فخلال أحد اجتماعاتها التي حضرها مغاربة من الجزائر وتونس ومراكش منهم القائد الأخضر من تلمسان ومحمد بن الزاوي جلول من قسنطينة تقرر إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعية[3].ومن العلماء الجزائريين الذين نشطوا في إطارها الشاذلي السنوسي، ومحي الدين السنوسي، ومحمد البشير زر وق، والشيخ محمد عبد السلام التيجاني.

إن الجمعية التي أسّسها صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي سنة 1910م كانت لها فروع من أهمها فرع دمشق ومن أعضائه الشيخ الحسين ومحمد بن الصغير وكلاهما من مدينة سدراته(الجزائر) والدراجي بن الحسين والحاج إسماعيل بن محمد وكلاهما من قسنطينة ومحمد بن شطة من الأغواط[4] وفي سنة 1916م، قرّرت الحكومة العثمانية أن تؤسس في الأستانة هيئة لغزو شمال إفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين[5]، ولما عيّن سليمان الباروني واليًا عامًا على المناطق المحرّرة في طرابلس الغرب، انتظمت مقاومته ضد الإيطاليين، ومن بين ما قام به الباروني [تلميذ

[1] - **الشريف (صالح)**، (1862- 1920)م.من أُصول جزائرية، ولد بتونس، كان جده الشيخ العربي بن كبار أدباء جامع الزيتونة ومن الذين أولاهم أحمد باشا الأول التدريس بجامع الزيتونة.دخل الشيخ صالح جامع الزيتونة عام 1881م ونال فيها شهادة التطويع سنة 1888م، تولى التدريس في الطبقة الأولى سنة 1894م ثم ليُسمى مدرساً بالمدرسة العصفورية سنة 1897م، ونظراً لنشاطه السياسي المكثف تعرض لمضايقات من طرف السلط الاستعمارية، اضطره إلى الهجرة إلى إستانبول سنة 1906م، كانت له أنشطة سياسية وتعليمية مكثفة في المشرق العربي وكان له دور كبير في النضال المهجري الجزائري التونسي بأوربا أثناء الحرب العالمية الأولى توفي بموفترو وعمره 58سنة.

[2] - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 520.

[3] - المرجع نفسه، ص ص (230- 233) . ينظر: . سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص603.

[4] -Bardin, OP. Cit. p.230 .

[5] - الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م.ص53 . يراجع : بن ميلاد إدريس، "مرجع سابق "، م. ت. م، ع(1)، ص. 164.

محمد أطفيش الجزائري] هو أنه بعث رسُله في نشر الدعوة للجزائر وتونس، وربط الصلة بين أنْور باشا وحسن قلاتي (الجزائري)، أحد الذين بقوا في تونس من حزب علي باش حامبة، كما كان للصحفي الجزائري المحامي"محمد قدري الجزائري" دور هام في إقليم طرابلس الغرب حيث هاجر والده، وفيها أكمل دراسته وتعليمه ومنها انتقل إلى اسطنبول حتى تخرَّج من كلية الحقوق ولما عاد إلى طرابلس أصدر جريدته التي كانت تنطق باللغة التركية وعنوانها (تعميم حريت) وهذا لأجل قراء اللغة التركية الموجودين في الولاية، وقد توقّفت الجريدة عن الصدور خلال نوفمبر 1911م بسبب الغزو الإيطالي للبلاد، كما كانت له عدة أنشطة ونضالات لم ينسى فيها خدمة القضية الجزائرية[1].

وبالنسبة لمشاركة العلماء الجزائريين في الحرب الليبية الطرابلسية، فإذا كنا لا نعرف الكثير عنهم أمثال: مصطفى عوني والأخوة محمد ومولاي وعلي بن حميدة بن خير والحاج قاسم أبو خطوة، وأبناء بن جلول، وأبناء عائلة جبارة، وغيرهم كثيرون وخاصة من جهات الشرق الجزائري وجنوبه فإن ذلك لا يعني قلة المتطوعين من الجزائر في ميادين الجهاد الطرابلسية، ولكن نحن لم نتمكن من الحصول على أسماء الأكثرية منهم لأن البحث في هذه النقطة لم يتسع كثيرًا خاصة على الصعيد الميداني[2].

لقد أسّس العلماء الجزائريون بصفتهم إحدى الطلائع المغاربية في المشرق العديد من الجمعيات السياسية والخيرية التي تهتم بالمغرب العربي كقضية سياسية، وبأحوال المهاجرين منه كقضية اجتماعية، كما لم تفصل هذه الجمعيات بين قطر مغربي وآخر،إذ مارسوا فيه أجمل وأرقى الممارسات الوحدوية المغربية وبرهنوا واقعيًا على إمكانية قيام هذه الوحدة فإنهم لم يفصلوا هذه الجمعيات ونضالها عن نضالهم في الأقطار التي هاجروا إليها. وقد ساندت هذه الجمعيات بشكل ملحوظ النضال ضد الاحتلال الفرنسي لتونس.

[1] – سعيدوني(نصر الدين)،دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله،بيروت:دار الغرب الإسلامي، 2000م.ص. ص(289. 290).

[2] – نفسه، ص285.

جاء في جريدة المقتبس الدمشقية في عددها رقم 462: «اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الأستانة وقرّروا تأسيس جمعية مختصة بهم وقد خطب كثيرون منهم وأبانوا شكرهم لأحرار العثمانيين»[1] وتُفيدنا الوثائق أن الأمير علي ترأس في دمشق جمعية مهمة اسمها جمعية مهاجري شمال إفريقيا كان لها رابط بين الجمعية الخيرية الإسلامية لأيالة الجزائر المحمية، التي أسّست لمعاضدة ثورة المقراني؛ وكانت جمعية مهاجري شمال إفريقيا بمثابة حزب سياسي دعا علنًا لاستقلال الجزائر وتحالفه مع الألمان ضد فرنسا، وإن رئيسها الأول الأمير على بن عبد القادر يزور الأسرى الجزائريين الذين كانوا يُساقون إلى الخدمة في الجيش الفرنسي، فيأسُرهم الجيش الألماني، وكان هؤلاء الأسرى ينظرون إلى الأمير علي بن عبد القادر كأمير وطني، ولعلّ أهم وثيقة حتى الآن تدلّنا على نشاط هذه الجمعية هي الجريدة التي كانت تُصدرها باسم (المهاجر)، وقد صدرت هذه الأسبوعية كما يقول "دي طرازي": «في 1912/01/21م، وكان رئيس تحريرها كما هو وارد على صفحتها الأولى التهامي شطة الأغواطي وكان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال إفريقيا»، ويبدو أن الأمير سعيد بن علي ترأس هذه الجمعية اعتبارًا من عام 1915م[2]، كما يبدو أن هذه الجمعية ظلت قائمة إلى ما بعد 1946م، وإنني اعتقد أن دراسة جمعية مهاجري شمال إفريقيا دراسة تفصيلية هي أمر ضروري لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، والحركة المغاربية، كما انبعثت من هذا الجيل من العلماء جمعيات مغاربية في مصر والشام، ومن أبرزها:

❖ **الجمعية الخيرية الإسلامية** : مقرها الأستانة، ولكن لم يكن«هدفها الرسمي فقط مساعدة المهاجرين الوافدين على تركيا...»[3]، لقد كانت اللجنة المسيّرة للجمعية المذكورة تحت رئاسة محمود شوكت وتضم بين أعضائها يوسف شتوان – أصيل طرابلس الغرب– إلى جانب

[1] – الخالدي (سهيل)، الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في الشام، الجزائر: دار الأمة، 1997م ، ص164.

[2] – الخالدي، المرجع نفسه ، ص165.

[3] . الماجري(عبد الكريم)، دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى، شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، تونس: 1977م،ص 15 "غير منشورة".

صالح شريف وإسماعيل الصفا يحي وكذلك عبد العزيز جاويش[1]. لقد أصدرت الجمعية الخيرية الإسلامية، جريدة " عالم الإسلام" Djham Islam"الناطقة بعدة لغات كالتركية والفارسية والهندية فضلاً عن العربية، وقد دأبت على حث المسلمين على رفض دفع الضرائب[2].

❖ **جمعية الإخاء للجزائريين والتونسيين L'Association Fraternelle des Algéro-Tunisiens**: ظهرت هي الأخرى بالقسطنطينية حوالي سنة 1915م على يد كل من صالح شريف وإسماعيل الصفايحي والفرنسي "تادي قز توفت Thadee gasztovt"[3]، وعلى حد قول جريدة "الشباب التركي" "Le jeune turque" فإن ثمانين شخصًا بين جزائريين وتونسيين مقيمين بالقسطنطينية حضرو الاجتماع مع العلم أن للجمعية عدة فروع بالمشرق العربي، أهمها فرع دمشق، الذي كان يضم العديد من الأعيان والوجهاء الجزائريين الذين تولوا تمويل نشاط الفرع المذكور[4].

❖ **جمعية الإتحاد المغربي L'Union Maghrébine**: ظهرت في القاهرة سنة 1910م، على يد العديد من الوجهاء وكبار الأثرياء من المالكين العقاريين ومن ذوي النفوذ المالي والمعنوي كرئيسها الأمير محمد شرعي باشا والشيخ على يوسف صاحب جريدة "المؤيد" وكان أمين مالها العالم الجزائري أمين باي المغربي[5]، وعلى حدّ قول خوالدية صالح فإن الجمعية المذكورة كانت جمعية إغاثة وإعانة للجزائريين والمغاربة عموما[6].

---

[1] - Centre de documentation National, B-3-6 , Le Panislamisme en Tunisie,

[2] - Ibid, P3.

[3] – **تادي أرتور موريس قزتوفت**: عون ألماني من أصل بولوني، ولد بباريس في 8 جوان 1881م، اعتنق الإسلام وتسمى باسم " سيف الدين العسكرية بتونس، عدّته سلطات الاحتلال في تونس مناصرا لأفكار الشبان الأتراك .أنظر: الأرشيف الوطني التونسي! قام بالخدمة.

[4] – العجيلي (التليلي)، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، تونس: دار الجنوب للنشر،2005م، ص204.

[5] – العجيلي، نفسه، ص 206.

[6]- Bouyoc R ."L'Union Maghrébin, société de secours mutuels", La Tunisie Française, du 27/11/1912. P1.

- Archives Nationales (Tunis).,, Série E, C550, Dossier 30, Sous dossier 15. doc n°1,14,18,21.

❖ **الاتحاد الإسلامي** : نشأت بمبادرة من الجزائري خوالدية صالح[1] الذي نشر مقال بإمضائه تحت عنوان "نداء الثورة" صدر بعدد يوم الاثنين 1جانفي 1906م من جريدة La Dépèche Tunisienne[2].وفي مقال له بعنوان "الإسلام" نشرته له L'Egyptien Gazette ليوم 02/ 04/ 1906م أوضح خوالدية تعلّقه الشديد بالجامعة الإسلامية، موضحًا ما تقوم به القوى الاستعمارية من مساعي لتشتيت المسلمين قصد إضعافهم، مؤكدًا أنه ليس لهؤلاء من حل «سوى الوقوف كرجل واحد ضد المحتلين الغاصبين»[3].

ومن جهته فإن محمد الخضر حسين، الذي كان قد غادر البلاد التونسية سنة 1912م، قد كتب في العديد من الصحف والمجلات المشرقية، مؤيدًا الخلافة العثمانية، داعيًا إلى توثيق عُرى الأُلْفة بين العرب والأتراك وقد كُلّف صحبة أخيه بدمشق والطيب التواتي بحَلَبْ؛ بمهمّة تقضي بالتحرّك بين المهاجرين ببلاد الشام للقيام بينهم بدعاية ضد فرنسا وتنفير الناس منها ودعوتهم إلى مقاطعة البضائع الفرنسية[4]، كما تمّ كذلك تحرير نداء موجّه إلى المسلمين الخاضعين لكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا[5]، وكان من بين الممضين العالم الجزائري "عمر الورغلي " (الورقلي) وكذا أحمد الشريف السنوسي.

4. النشاط المهجري للنخب العلمية الجزائرية خلال الفترة (1920م . 1939م):

لقد غادرت الجزائر خلال هذه الفترة أفواج عديدة من العلماء الوطنيين بدءًا بفوج المكي بن عزوز وأمزيان التلمساني والخضر حسين..، الذين عاشوا متنقلين بين المشرق العربي وتركيا

- Archives Nationales (Tunis)., Série E, C550, Dossier 30/23, doc n° 5. "Le gérant de l'Agence et du consulat général de France au caire au ministre des affaires étrangères à Paris, Le 10/10/1913

[1] -Bouyoc, Op.Cit , P1.

[2]– هلال(عمار)، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيًا وإسلاميًا"، الثقافة، ع 99 الجزائر: 1987م، ص 120.

[3] – هلال، مساهمة الخالدي، الثقافة، ع 99، ص 121.

[4] – العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية، ص 199.

[5]- Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunis), -A.M.A.E, Bobine 75, C 1651, F 68, Affaires musulmanes II, Dossier unique. F 68.

وألمانيا[1] ثم تتالت من بعدهم خلال فترة ما بين الحربين أفواج العلماء الوطنيين المهاجرين والمهجّرين سرعان ما أكملت ملحمة النضال الطويلة، وبدأت اتصالاتها خصوصًا مع طلاب المغرب العربي في أوروبا، فكان من نتائج عملهم أن تأسّست في باريس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي راحت تُصدر النشرات الوحدوية وتعقد المؤتمرات والاجتماعات الدورية، وتقوم باتصالات واسعة لتُطلع الرأي العام الفرنسي على قساوة الاستعمار الفرنسي وتبثّ الوعي وروح الثورة بين كافة صفوف الطلبة المغاربة[2]، وتأسّست هذه الجمعية في مطلع السنة الدراسية (1927-1928)م، وقد عقدت هذه المنظمة الطلابية المغربية عدّة مؤتمرات ثقافية وسياسية... وحضارية بقيت خالدة في تاريخ نشاطها، حيث يذكر الشيخ السعيد الزاهري أنه: «اطلع على قانون هذه الجمعية فإذا هو يحتفظ بما في الجزائر من قومية ودين...».[3]

وفي الوقت الذي عزم فيه الطلبة الجزائريون بتونس على تجديد منظمتهم الطلابية (جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين) وإعطائها نفسًا جديدًا يتلاءم مع التطورات الخطيرة التي شاهدتها الساحة السياسية في الجزائر طرحت فكرة "توحيد الشبيبة المغربية" بكل معانيها: السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد طرح هذه الفكرة "محمد العيد الجباري"وهو أحد الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة، وتحمّس لها بقوة حتى نقلها من الميدان النظري البحت إلى ميدان الواقع الملموس، بحيث تمكّن في شهر ديسمبر 1936م من إنشاء منظمة طلابية مغاربية جمعت شمل طلاب أقطار المغرب الثلاث وقد عُرفت المنظمة في وقتها تحت اسم "شبيبة شمال إفريقيا الموحدة..".[4]

إننا لو تتبّعنا آثار العلماء والطلبة الجزائريين في بلاد المشرق العربي ومساهمتهم في الأحداث السياسية فيها لربما انتهينا إلى وضع مجلد، ومن لا يعرف أنشطة عبد العزيز الثعالبي في

---

[1]- الطاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية، ط2، تونس: دار المعارف للطباعة، 1990م ، ص25.

[2] - الجامعة التونسية، بناء المغرب، ص18.

[3]- الزاهري (محمد السعيد)، الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، دمشق : مطبعة الاعتدال، 1934 م، ص29

[4] - ISHMN , A.N.O.M, Bob ,A46 , C 25 H32 , Dossier 13 , F (1212-1213-1214-1215-1216-1217-1218)

وهذه الملفات هي عبارة عن تقارير أمنية صادرة من سلطات الاستعمار الفرنسي بخصوص نشاط لحساسنة محمد العيد الجباري (السياسي والمغاربي)

مؤتمر القدس الأول سنة 1931م، وعلاقته الوطيدة بمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ومحب الدين الخطيب ورياض الصلح وغيرهم من أعيان الشام، وقد كان بينهم تعاون وثيق من أجل صياغة جديدة للمشروع الإسلامي والقومي ومواجهة الهجرة اليهودية والإيديولوجية الصهيونية[1].

على أن أشهر الجزائريين الذين قدّموا الكثير في المشرق العربي هو الجزائري مصطفى عبد القادر الأحول التفراوي، وهو سادس إخوته، ومن أهالي باب على بمدينة معسكر، رقم 94 شارع سيد يعلي الذين يعتز أهله بانتمائهم إلى أسرة الأمير عبد القادر الجزائري، ولد سنة 1892م بالجزائر، وتوفي يوم الجمعة 1982/8/6م بمنزله في مدينة طرابلس الغرب التي قدم إليها في نوفمبر 1914م[2]. ومن الصحف الجزائرية التي قامت بدور مشرّف في المشرق العربي "مجلة المنهاج" وقد أصدرها مؤسّسها الشيخ "أبو إسحاق إبراهيم أطفيش" في أكتوبر1925م، وكانت تُطبع بالقاهرة وتوزّع بالمغرب العربي وجميع أقطار البلاد العربية، تعالج قضايا المغرب العربي والجزائر خاصة، وتخصّص قسمًا كبيرًا من صفحاتها لمعالجة القضايا الإسلامية العامة[3].

والشيخ إبراهيم اطفيش بعد نفيه واستقراره بالقاهرة، اشتغل بالتأليف وطبع الكتب النافعة ومن جملتها "الدعاية في سبيل المؤمنين" و"رسالة النقد الجليل على العتب الجميل" وجدّد طبع كتاب "النيل المعتمد في المذهب الإباضي للمؤلف الشيخ عبد العزيز الثعالبي بشرح الشيخ محمد أطفيش" كما طبع كتاب "الذهب الخالص" وغيره من تآليف له في الفقه الإباضي، وألّف كتابًا ضخمًا في عدة أجزاء عن تاريخ الإباضية كما اشترك في عدة جمعيات إسلامية كجمعية "الشبان المسلمين"، و"الهداية الإسلامية " و"الرابطة الشرقية" التي كان يرأسها الأستاذ " أحمد زكي باشا" كما شارك في عدة مؤتمرات إسلامية، كالمؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس في سنة 1936م[4].

---

[1]- الثعالبي (عبد العزيز)، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1988.

[2]- محمد (ميلاد مبارك)، "المجاهد مصطفى الجزائري، شيئ عن حياته وجهاده "، مجلة الشهيد، ع9/8، طرابلس : مركز الجهاد الليبي، أكتوبر (1986-1987)، ص305.

[3]- مفدي (زكريا)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح أحمد حمدي، الجزائر : منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، 2003م ص135.

[4]- نفسه، ص 136.

5. النشاط المهجري للنخب العلمية الجزائرية خلال الفترة (1939م . 1954م):

مما لاشك فيه أن العلماء والطلبة الجزائريين الذين شدوا الرحال إلى المشرق العربي، كانت لهم أوضاعهم الخاصة بهم حتى اختلفت جذريًا عن أوضاع زملائهم في أوربا أو أمريكا، وقد تمثَّلت الأوضاع الخاصة للطلاب الجزائريين في المشرق العربي في الظروف المادية القاسية الشاذّة من نوعها التي عاشها الطلاب سواء خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها أو التي سبقتها، مما جعل الطّلاب الجزائريون يواجهون في كل مواقف حياتهم الدراسية صعابًا قاسية مؤلمة، وقد ساهمت الثورة الجزائرية حينما اندلعت في تفاقم هذه الصعاب والظروف التي كان يعيشها الطلاب الجزائريون في المشرق العربي[1].

لقد كان العلماء والطلبة الجزائريون بالمشرق عمومًا وبالقاهرة خصوصًا يشكّلون شريحة هامة في الجالية الجزائرية وكانوا على وعي سياسي كبير، لأن معظمهم عانوا من ظلم الاستعمار الفرنسي قبل خروجهم من الجزائر، كانت معاناتهم سياسية وثقافية واقتصادية؛ وإذا كان زملائهم الدارسون في المدارس الفرنسية قد لا يحسّون بنفس المعاناة الثقافية، فإن طلبة القاهرة كانوا يحسّون بمعاناة مضاعفة لأنهم كانوا مقتنعين أن الاستعمار الفرنسي هو الذي تسبّب في غربتهم ضد ثقافتهم العربية الإسلامية وسرَق هويتهم الوطنية، لذلك كانوا غير متسامحين مع الذين يتسامحون مع الاستعمار ولو ثقافيًا[2]. كما أن كثرة عددهم ونفوذهم في دوائر الطلبة العرب قادهم إلى التفكير في تكوين منظمة تجمعُهم، فكانت رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، وعن أعداد هؤلاء الطلبة، كان قد سأل في ربيع 1954م الطالب علي مراد«ممثل فرع العاصمة لـ ج.ط.ش.أ.م» في رسالة بعث فيها إلى الطالب رابح تركي الناشط في الحركة الطلابية بالقاهرة عن أعدادهم وتوزيعهم حسب الكليات والمعاهد، وتضمّن ردّ هذا الأخير بتاريخ 23 أفريل1954م المعلومات التالية: -كلية الآداب: حوالي 60 طالب من بينهم 14 طالبة. -كلية الحقوق: حوالي 60 طالب من بينهم طالبة واحدة. -كلية العلوم: 60 طالبا من بينهم 03 طالبات. -

[1]- هلال (عمار) نشاط الطلبة، ص 68، للتوسع حول هذه الظروف يراجع: شاوش (حباسي) "محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع07، الجزائر: 1993م، ص 145.

[2]- نفسه، ج1، ص 30.

كلية الطب: 65 طالبا من بينهم 03 طالبات. – – معهد الدراسات العليا: 30 طالبا. – مدرسة تكوين القابلات والممرضات: حوالي 20 طالبة. أي أن مجموع الطلبة والطالبات يومئذ لم يكن يزيد عن 330 من مجموع 4500 طالب بجامعة الجزائر.

وقد أرفق "علي مراد" ردّه عل رسالة تركي رابح بتكليف هذا الأخير بأن يمثّل جمعية الطلبة بالجزائر في مؤتمر طلبة الشرق مشترطًا عليه، أن يُراعي موقف الطالب الجزائري من المستعمر، وختم التكليف بالعبارات التالية: «وما ترجوه جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا هو أن تبلّغ تحياتها الودية لإخواننا طلبة المشرق العربي ويُترجم عن عواطفنا المخلصة نحوهم، وأملنا في استرجاع مجدنا وإحياء هويتنا فليحيا شباب المشرق وليحيا شباب الجزائر عربًا أحرارًا»[1]. وللحديث عن مساهمات الطلبة الجزائريين ومشاركاتهم النضالية بمصر والمشرق العربي فردًا فردًا سيأخذ ذلك الحديث إلى جرد مجلدات ضخمة لا خاتمة لها، فمثلاً من الشخصيات الطلابية التي لا نعرف عنها الكثير لكن بالنظر إلى حجم دورها الطلابي بمصر نكون قد هضمنا حقها التاريخي في التذكير بها على الأقل: سعد بزيان 1931م، البشير كعيسي[2]، دودو أبو العيد (1934–2002)، ركيبي عبد الله 1928م. والشاذلي المكي (1912–1988م) هذا الأخير هو أصيل خنقة سيدي ناجي (بسكرة) أين وُلد وتعلّم حيث انتقل بعدها رفقة عائلته إلى تبسة وهناك عكف على الدراسة والتحصيل، ليلتحق بعدها بجامعة الزيتونة أين تحصل على شهادة التطويع، وهناك كان له نشاط طلابي كبير حيث كان من المؤسسين لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، كما كانت له إسهامات ملحوظة في الأوساط السياسية والثقافية بتونس، وباندلا ع الحرب العالمية الثانية أُلقي عليه القبض واعتقل بمنفى جنين بورزق (عين الصفراء) وبعد إطلاق سراحه تفرّغ للنضال السياسي السري ليُتّهم في أحداث 08 ماي 1945م، مما اضطره إلى السفر إلى عنابة ومنها إلى تونس ثم مصر، وكان الشيخ الفاضل بن عاشور هو الذي مكّنه من اجتياز الحدود التونسية الليبية، وفي مصر

[1]– عباس (محمد)، مثقفون في ركاب الثورة: ج2، الجزائر: دار هومة، 2004م، ص ص(60 –61).

[2]– ذكر الدكتور إبراهيم فخار في حديثه عن صالح الخرفي أن كعيسي كان رئيسًا للطلبة الجزائريين بالقاهرة باسم جمعية العلماء عام 1957م.

– راجع بلحاج (قاسم أحمد)، الشاعر صالح الخرفي، الجزائر: جمعية أنغام الحياة الثقافية، 2004م.ص68.

عمل ضمن نطاق الجامعة العربية ومنطقة شمال إفريقيا، وبعد اندلا ع الثورة، وقَع له خلاف مع بن بلة، فقَبضت عليه السلطات المصرية مع أحمد مزغنة وأودعا السجن العسكري إلى غاية 1960م[1].

قال عنه الرشيد إدريس: « الأستاذ الشاذلي المكي هاجر إلى القاهرة في نفس المدة التي وصل فيها بورقيبة إلى القاهرة، وكنت أعرفه في تونس مسؤولاً عن الطلبة الجزائريين ومتّصلاً بجمعية العلماء، وتحصّل على نيابة من حزب الشعب الجزائري ورئيسه مصالي الحاج في مصر»[2]، وتحدّث عنه في موضوع آخر قائلا: « لقد لقيت الأخ الشاذلي المكي يبذُل وحدَه الجهود للتعريف بالقضية الجزائرية والمغاربية، وكان مجهوده والحقّ يُقال مجهودًا جبّارًا،...»[3].

لقد تزامن نشاط مكتب المغرب العربي بالمشرق مع هيئة مغاربية أخرى ظهرت بالمشرق العربي هي جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية قال عنها كرو: « أنها تأسّست بعد الحرب العالمية الثانية من طرف الشيخ محمد الخضر حسين»[4]، هذا الأخير كان قد أسّس جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا سنة 1923م وتطوّرت نظرته إلى هذا الموضوع عبر السنين وأصبحت ذات صبغة سياسية برزت في تأسيس جمعية تدعى "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" إثر الحرب العالمية الثانية، وفي ذلك يقول مواعدة: «إنه لم يعثر على معلومات تبيّن ظروف تكوين هذه الجبهة»[5]، والملاحظ هنا أن أفكار الشيخ الخضر حسين السياسية الوحدوية المغاربية لم تتطوّر خلال الفترة التي ذكرها الدارس لحياة الشيخ إنما كانت قبل ذلك كما سبق وبيّنا سلفًا في الحرب العالمية الأولى[6].

---

[1]- بوشارب (عبد السلام)، تبسة (معالم وآثار)، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.، ص. ص (37–38).

[2] - S.D.N, B5-43, doc n1 - الصباح 17 جوان 1980م.

[3] - S.D.N, B5-43, doc n1 - الصباح 18 جوان 1980م.

4-كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م، ص 05.

5- مواعدة (محمد)، محمد الخضر حسين، تونس: الدار التونسية لنشر، 1974م، ص 119.

[6] - *للتوسع في نشاط الوطنيين التونسيين والجزائريين بالمشرق أثناء الحرب العالمية الثانية يراجع: - شاوش (حباسي) المرجع السابق، مجلة الدراسات التاريخية ، ع07، ص. ص(145–147). - الآجري، المرجع*

ويعود ظهور الجبهة إلى اجتماع القاهرة خلال مارس 1944م[1]، وهي بقيادة رجل يدعى الأمير المختار، ويُضيف أن أعضاء اللجنة كانوا من المهاجرين الجزائريين في المشرق، ولعلّ من بينهم مغاربة وتونسيون وستكون هي مقدمة لمكتب المغرب العربي[2]، تولى رئاستها الشيخ محمد الخضر حسين، كما تولى الفضيل الورتيلاني منصب السكرتير العام ومن أعضائها البارزين الدكتور محمد عبد السلام العبادي، وأحمد نجيب برادة، والحاج أحمد بن قايد ومصطفى(بك) بيرم، والشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ إسماعيل علي والشيخ السعدي عمار والحاج اليمين الناصري ومن الشباب أبو مدين الشافعي وأحمد بن المليح وحمود بن قايد وأحمد السعدي ومحسن بيرم[3]. ومن الذين انظموا إلى الجبهة من تونس الشيخ محي الدين القليبي من الدستور القديم، والحبيب بورقيبة من الدستور الجديد[4]، ومن الجزائر الصديق السعدي، ومحي الدين القلي[5]، وقد استمر العمل المتحد بين أعضاء الجبهة إلى غاية سنة انعقاد مؤتمر المغرب العربي عام 1947م وكانت الجبهة على اتصال بمنطقة المغرب العربي بواسطة الحجاج المغاربة وعن طريق الصحافة[6].

ومن الجمعيات المغاربية الأخرى التي ناضل تحت لوائها العلماء والطلبة الجزائريون قبل تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة نذكر اختصاراً : **جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية**[7]" ومن بين أعضائها الجزائريين الأستاذ محمد الرزقي والدكتور عبد السلام العبادي، وكذا **جمعية مجاهدي أفريقية الشمالية وجمعية الدفاع عن أفريقية العربية** التي تأسّست في دمشق إثر

السابق،ج1، ص.ص(130–140)، – داهش، المرجع السابق، ص.ص(174–178). – الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص.ص(407–408).

[1]– سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص 243.

[2]– الورتيلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م ، ص.ص(284– 286).

[3]– عبد الباقي (علي محمد)،" أصداء الثورة الجزائرية في الشرق العربي من خلال جهود الورتيلاني"، مجلة سيرتا، ع 7/6 الجزائر: جويلية 1982م، ص 45. للتوسع يراجع: مرحوم (علي)،"مواقف من جهاد الفضيل الورتلاني" الثقافة، ع34، الجزائر: أوت/سبتمبر 1976م، ص.ص(56–58) – عبد الغفار : المرجع السابق، ص.ص(145– 155)، – بوصفصاف، جمعية العلماء، ص 348.

[4]– مواعدة، المرجع السابق، ص 120.

[5]– محمد فضلاء (حسن)، من أعلام الإصلاح، ج3، ص 75.

[6]– الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص 270.

[7]– للتوسع في ظروف تأسيسها ومبادئها وأهدافها يراجع الوزير، ع 175، تونس : 23 سبتمبر 1924م.

اجتماع عُقد في منزل مفتي المذهب المالكي في سورية الشيخ محمد مكي الكتاني أحد علماء المسلمين المهاجرين من المغرب الأقصى وجرى الاجتماع في جوان 1946م، وكان من مؤسسيها شخصيات جزائرية ومغاربية مهاجرة أمثال: أحمد جودت الهاشمي، كامل عيادة، عبد الغني البجقني، هادي الئيس، كامل التونسي، علي الجزائري، عمر فرحات، حسن فرحات، محمد المبارك مطيع المرابط وغيرهم من الشخصيات المغاربية[1]. يضاف إليها **جمعيات تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت** ومركزها الرئيسي في بيروت ويرأسها السيد عبد السلام بوعزة الجزائري، التاجر المعروف بتجارة الترانزيت حيث اشتهرت بأنشطتها المتنوعة والمكثفة لصالح استقلال دول المغرب العربي بالتنسيق مع لجنة التحرير المغرب العربي في القاهرة، وضمت في عضويتها من الجزائريين، محمد علي الحسيني الجزائري، عمر فرحات، حسين فرحات، محمد المبارك[2]. كما كان الشيخ الورتيلاني قد أسّس بالقاهرة مكتبًا لجمعية العلماء في سنة 1949م[3].

وكان لانعقاد مؤتمر المغرب العربي في (1947/02/16م) أثره العميق في حركة بلدان شمال إفريقيا بالمشرق وفي الحركات الوطنية داخل الأقطار الثلاثة خاصة وأن المؤتمر رُوعي فيه أن يكون الممثلين من الحركات القائمة في شمال إفريقيا حتى يكتسب صفة الإجماعية التي تعطي لقراراته قوة تأييد الأحزاب برمّتها، وبفضل هذا المكتب أصبحت القاهرة مطمح الذين يهتمون بالشؤون المغاربية ومحجّ الوافدين من شمال إفريقيا إلى درجة توصلت معها الحكومة المصرية لتلقي احتجاج من السفارة الفرنسية التي اعتبر المكتب قضية توزيع أوراق التعريف والجوازات الخاصة في إطار تسهيله عملية التعليم للطلبة الوافدين[4].

---

[1]- نفسه، ص 169.

[2]- بشيري (أحمد)، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، الجزائر : منشورات تالة،2005م، ص ص (54 – 57).

[3]- بورنان (سعيد)، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، ط2، الجزائر : دار الأمل، 2004م، ص.ص(186– 187).

[4]- جربال (دحو)، جيش التحرير المغاربي، الجزائر: مؤسسة محمد بوضياف، 2004م ، ص 150، يراجع السروجي (محمد محمود)، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، القاهرة: مطبعة المصري،ب.ت ، ص.ص(225– 226).

إن نشاط النخب العلمية الجزائرية المهاجرة ضمن مكتب المغرب العربي بالقاهرة قدّم مساهمة تكميلية في مناهضة الاستعمار الفرنسي لا يمكن إغفالها، ولعل الهدف الرئيسي من هذا المبحث يتجلى في إبراز الدور الطلائعي الذي امتاز به العلماء الجزائريون بالمشرق العربي، حيث جاء تأسيس مكتب المغرب العربي في دمشق سنة 1946م، قبل تأسيس مكتب القاهرة، إلا أن التنسيق بين المكتبين كان محكمًا، سواء على مستوى التصوّر والخطة السياسية أو على المستوى العملي التطبيقي، ثم تأسس مكتب المغرب العربي بنيويورك سنة 1947م إلا أنه لم ينجح في إدماج عناصر المغرب العربي حيث اقتصر على مناضلي المغرب الأقصى، بينما قام التونسيون والجزائريون بأنشطتهم على انفراد، قامت جماعات وجمعيات أخرى في برلين وباريس وجنيف بالدعاية لقضية المغرب العربي منذ الثلاثينات لحصوله على الاستقلال.

الخاتمة:

إن هذا النشاط الفيّاض للنخبة العلمية المهاجرة إلى المشرق العربي كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحوّلات التي سيشهدها المجتمع الجزائري فيما بعد الاستقلال، فالمكانة التي كان يحتلها العنصر الجزائري ضمن تلك الحركية الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في تلك الأقطار، إن أنشطة العلماء الجزائريين (السياسية والجمعوية والصحفية والنقابية والفكرية والأدبية...) تحيلنا إلى تبني نتيجة مهمة وهي: لقد لاحظنا حيوية الفكر الجزائري، فرغم الركود الذي كان يصيب العالم الإسلامي والعربي حينها بسبب الهجمة الاستعمارية الأوروبية عليه، إلا أن بعض الجزائريين كانوا يتفاعلون مع أحوال عصرهم ويهتمون بأحوال إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى وأحياناً كثيرة كانوا يسبقون ذلك العصر ببعض الأفكار المتقدة في مختلف الميادين، كما نلاحظ أن منطلقات النخب الجزائرية كانت منطلقات ثقافية مضمرة في شخصيتهم من غير تكلف وموارية والتي هي في الأخير وعي مدرك بقضية الوحدة وإيمان يقيني بضرورة التوّحد، بل أن المنطلقات نفسها شكّلت في فترة زمنية سابقة رهاناً حقيقياً في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لبرامج وأهداف ومطالب التيارات الوطنية الجزائرية ينتهي بنا إلى خلاصة واحدة وهي اقتران المطلب الوطني القطري بالمطلب القومي الملي من غير تناقض بينهما.